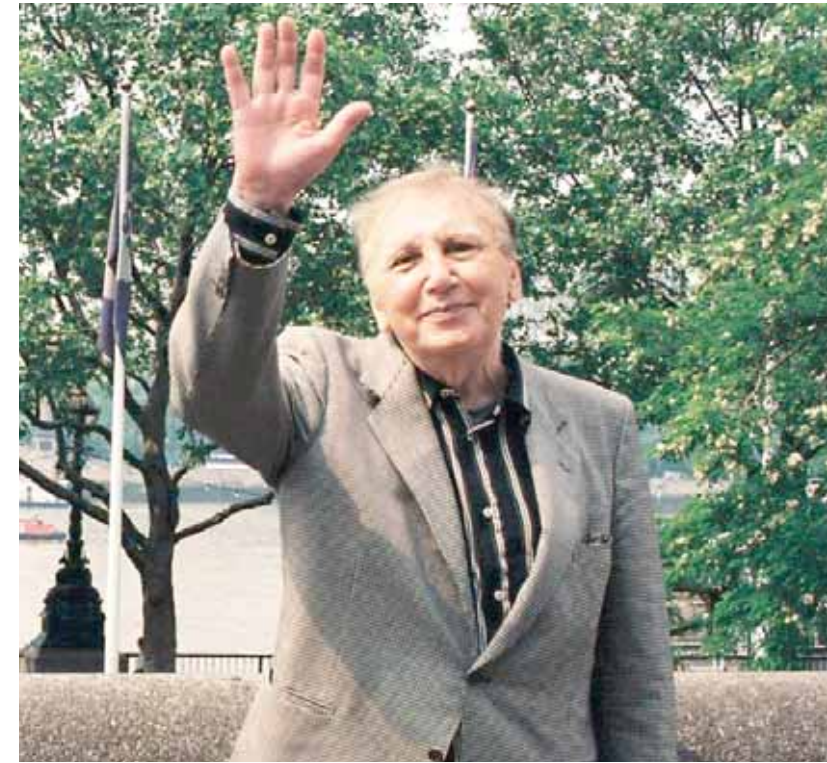


ربيع الحياة والمرأة والشام والشعر نزار قباني في ذكرى ميلاده أهدته الشام ربيعها فأهداها القوافي



إسماعيل مروة

الشاعر الذي لا يغيب عن المشهد في لحظة من اللحظات، فإن كان الحديث عن المرأة والغزل كان الملاذ الذي تأخذ أشعاره لتحدث عن المرأة، ووحده يستعينا في كل حالة، إن كانت أما أو زوجة أو ابنة أو محبوبه، إنما كانت عاشقة أو معشوقة.. وإن أردنا الحديث عن الوطن ومآسيه وأفراحه كان نزار المنقلب بين أوزان الشعر ليخرج نيزكاً من الوطنية الخالصة من كل شائبة.. وإن أردنا الحديث عن المطلق من الجمال والحياة والربيع فإن بغيتنا من عند نزار وحده من الشعراء المهتمين.

الربيع ونزار

ليس صحيحاً أن نقول إننا نسترجع ذكرى نزار في الربيع الميلاذ والسنف الطويل وما من عبث وهب الخالق الربيع لنزار قباني ميلاذاً ووفاءً وحياة، أما الميلاذ فقد جاء إلى الدنيا مع الربيع، وأما الوفاة فقد غادر بعد أن أزهرت الدنيا في الربيع كذلك، وأما سفره الطويل في الحياة فقد كان ربيعاً دائماً، سواء كان ذلك في المسافة أم السعادة فلم يشأ نزار أن يكون إلا ربيعاً لحبائه وشعره فأتمه، وقد أخذت حياة الزهر عنده مراحل عدة:

١- مرحلة المرأة، فقد رأى نزار، قبل من رأى ربيعاً في ذلك الوقت قبل أكثر من خمسة وسبعين عاماً من اليوم، أن المرأة هي ربيع هذه الحياة، ويأتها دون وجود المرأة لا ربيع ولا زهر ولا حياة، فاتجه إلى المرأة لتعطي حياتها ووجودها، وتحمل من أجل ذلك الكثير، فقد نال منها اليمين لأنه أساء للمرأة والعقيدة كما راوا، والصحيفة أن نزاراً عندما تناول تقييل دور المرأة اصطدم بالموثوث الذي وضع اليمين نفسه حامياً له، فقلقه ما ناله من المعاداة والهجوم، ومن البسار الذي تهيأ له أن المرأة لا تحتاج، فوضفه بأنه سلع المرأة ونال من شخصها، ولعل موقف جبرا إبراهيم جبرا في التكبيرة وبعدها هو خير دليل، إذ نال من نزار قبل التكبيرة، ولكنه فيما بعد اكتشف أن ما فعله للمرأة والعقيدة كما راوا، وإنصافها، ولو كانت المرأة في مكانها وتمارس دورها ما حصلت التكبيرة وغيرها من الكوارث.

٢- مرحلة الوطن والاعتسار، ما من واحد لا يعرف أن نزار قباني عاش حياة الدعة والبوجحة، سواء في أسرته التي جعلته معتقياً عن الآخرين أو في عمله الدبلوماسي الذي أعطاه فرصاً كثيرة وجولات في أفق الأرض، لكن الربيع عنده جعله يتعدى عن كل شيء، ويستقبل لأنه ما من زهر ينبت، وما من ربيع يأتي دون أن يتحقق شرط الحرية الفردية، فلم يلقف في الإوراء وإنما خلط واختار أن يكون حراً.

٣- الشعر والحربة بعد رباطه مع دار الآداب، أراد نزار أن يكون حراً، فكانت منشوراته الخاصة التي صارت ربيعاً ينشر الزهر في كل مكان، وهذه المنشورات خلقت لنزار ما نعتز عن فهمه، فقد صار حراً كلمة وملاً، وأعطت لشعره الأبعاد التي لم تكن تتخطى، فلا حاجة له أن يطلب من أحد أو أن ينشر له أحد، أو يخضع لشرط في عملية النشر، فاستمرت أوزان الربيع بالتلفظ طول حياته، لذلك لم نجد تلك التحولات الحادة في حياته ما بين رأي ورأي، ما بين إيديولوجية وأخرى، ما بين رأي وتراجع عنه، ويكاد يكون الوحيد بين الشعراء الذين عاشوا موقفاً لم يتبدل ولم يتغير بتغير الظروف والأحوال، ما دفع أنونسيس وهو من هو يقول: نزار قد يكون أكثرنا حياً مع الأيام.

نزار والعرب والوطن

عرف نزار قباني مبعراً أن الوطن والمرأة

والحب لا انفصال بينها، لذلك ربط ما بين هذه المكونات، فحيث يوجد الحب يوجد ربيع الشعر، وحيث اجتمعا كان المجتمع حراً، ولننظر إلى قراءته المبكرة من هذه المكونات وآلية اجتماعها:

كتابة قصيدة حب في الوطن العربي تشبه حياكة، فقبص من الحبرين بألموروث الذي يضع اليمين نفسه حامياً له، فقلقه ما ناله من المعاداة والهجوم، ومن البسار الذي تهيأ له أن المرأة لا تحتاج، فوضفه بأنه سلع المرأة ونال من شخصها، ولعل موقف جبرا إبراهيم جبرا في التكبيرة وبعدها هو خير دليل، إذ نال من نزار قبل التكبيرة، ولكنه فيما بعد اكتشف أن ما فعله للمرأة والعقيدة كما راوا، وإنصافها، ولو كانت المرأة في مكانها وتمارس دورها ما حصلت التكبيرة وغيرها من الكوارث.

٢- مرحلة الوطن والاعتسار، ما من واحد لا يعرف أن نزار قباني عاش حياة الدعة والبوجحة، سواء في أسرته التي جعلته معتقياً عن الآخرين أو في عمله الدبلوماسي الذي أعطاه فرصاً كثيرة وجولات في أفق الأرض، لكن الربيع عنده جعله يتعدى عن كل شيء، ويستقبل لأنه ما من زهر ينبت، وما من ربيع يأتي دون أن يتحقق شرط الحرية الفردية، فلم يلقف في الإوراء وإنما خلط واختار أن يكون حراً.

٣- الشعر والحربة بعد رباطه مع دار الآداب، أراد نزار أن يكون حراً، فكانت منشوراته الخاصة التي صارت ربيعاً ينشر الزهر في كل مكان، وهذه المنشورات خلقت لنزار ما نعتز عن فهمه، فقد صار حراً كلمة وملاً، وأعطت لشعره الأبعاد التي لم تكن تتخطى، فلا حاجة له أن يطلب من أحد أو أن ينشر له أحد، أو يخضع لشرط في عملية النشر، فاستمرت أوزان الربيع بالتلفظ طول حياته، لذلك لم نجد تلك التحولات الحادة في حياته ما بين رأي ورأي، ما بين إيديولوجية وأخرى، ما بين رأي وتراجع عنه، ويكاد يكون الوحيد بين الشعراء الذين عاشوا موقفاً لم يتبدل ولم يتغير بتغير الظروف والأحوال، ما دفع أنونسيس وهو من هو يقول: نزار قد يكون أكثرنا حياً مع الأيام.

ما بين السر والسحر

توقف نزار عند متطلبات العشق، فالعشق ليس عادة، وليس أمراً عابراً، وليس ممكناً

للحب كان.. للمرأة كان.. للوطن وهب حياته

طويلة عن الحب والأجداد، يأتي نزار قباني ليليني مشاعر البساطة والبساطة، وينقل دهشته أمام واقع يختلف عن الأمنيات، وأمام حقيقة لا علاقة لها بالمجاز.

تسمى مجازاً بلاد العرب

فالتسمية ليست حقيقة، وإنما من المجاز، والمجاز مبالغة وتعبير عن أمنيات وأحلام، والمفارقة أن هذه البلاد والمجازية هي بلاد مستبدة ترفض أن تعطي الشاعر والحالم ما يريد كسر زجاج القمر كتابة قصيدة حب ممارسة فعل الهوى الشدو كالعصافير.

قرن أو أقل مضى على هذه الرغبة النزارية التي كانت مرفوضة إذ ذاك ولو لم تكن بلاد العرب مجازاً لتغير الموضوع، واليوم أصبحت أكثر مجازية وأكثر صدمة، وأبعد عن الحرية مسافات!

دعوة العمل وخطورتها

لقد قام نزار قباني بدور خطير للغاية، إذ وضع نفسه مقابل كل ما يدور في المجتمع العربي من خرافات وعتائد تحولت إلى دين يمارسه الكسالى والثامنون على الأرضة في بلادهم، حيث يبكي الأقبية ويومنون بكاء كلما حركهم عود دليل وليالي ذلك الموت الذي ندعوه في الشرق ليالي وغناء أن الله من شعري اقترب لواحداً لوحداً أقعد في الشمس أنا من سبتة!

أفضل تعويث أن يتحرك أسلاك الذهب فرشته لمن أحب غمسته في الشمس أوجعت الشهب ضعيفته أخص أن الله من شعري اقترب لواحداً لوحداً أقعد في الشمس أنا من سبتة!

أفضل أسلاك الذهب ففي هذا النص وفي كثير من شعر نزار المرأة شريك وفاعل، سواء كانت قوية أم ضعيفة، فهنا تعقد أسلاك الذهب، وفي مقام آخر صار عمري خمس عشرة صرت أحلى ألف مرة وفي مقام الضعف تشارك أيضاً في أشعر أنني حللي لا تتمتع هي كلمة عجلي إنني لأشعر أنني حللي وأتوجه الشريك في موضع آخر: أنا لتتفق ليلاً إليك وألا أقدم ورداً وألا أبوس يدك وتلتفت ليلاً على الرغم مني وأرسلت ورداً على الرغم مني ويستك من بين عينيك حتى شبيت وعدت بالأ.. والأ.. والأ..

وحيث اكتشفت غيائي ضحكاً نلاحظ هذه القضايا التي لم يكن الشاعر يلقى عندها، وربما رامها بعضهم من سفاف الأمور، ومن المعجب أن يقف عاجز عنها الشعراء الآخرون الذين تغنوا باليوميات الصغيرة والتصرفات العادية إلى مسائل عشقية تستحق التوقف عندها. المرض، العود، تقبيل اليد، التلقون.. لقدم لوحة عشقية بطريقة جداً بين الأمر وصد، بين ما يضره العاشق ذات لحظة من غباء، وما يتصرف به ليكتشف حقيقة المشاعر، وهذه الصورة قادرة على أن تعطي تصوراً طبيعياً للحياة وكيف يمكن أن تكون دون تزويق أو تحوير.

المراة الشريك قليلة هي الحالات التي تكون فيه المرأة شريكة وفاعلة في الحب، إذا ارتضى لها المجتمع والشاعر، وانضمت لنفسها أن تكون المنقلة ونزار بلسانها يتحدث ليحولها إلى وإهية وشريكة: شعري سرير من ذهب وكيونتها، وبعد حديث استمر قروناً

واثل العدس

أيام معدودة تفصلنا عن شهر رمضان المبارك، وفي مثل هذا الوقت من شهر شعبان جرت العادة لدى الدمشقيين على ممارسة بعض الطقوس والعادات القديمة، حيث يقومون بتوديع ما لذ وطاب من الأطعمة والابتعاد عن اللعب واللهو بتقليد دمشقي جميل في ربوع دمشق وهواها اللطيل وذلك بما يعرف باسم «تكريزة رمضان».

«التكريزة» هي نزهة تقوم بها العائلات إلى خارج المدن، حيث يتم هذا السيران الجماعي في مناطق مظللة على مناظر الخضرة والمياه، لولع أهل الشام بالمياه والخضرة، ويتناولون مختلف أنواع الأطعمة، ويمارسون الألعاب الشعبية، حيث سيصنفون في رمضان للعبادة ولاسيما التراويج والتواقل وقراءة القرآن.

وقد لا تقتصر «التكريزة» على العائلات فقط، فقد اعتاد أصحاب المهن اليدوية والسياسيين والشيوخ وكفرسوسة والشاغور. وبغالباً ما تبدأ «التكريزة» في النهار وتنتهي بعد العصر بالعودة إلى منازلهم، وقد يجتمع في هذه النزهة الأقارب جميعهم أو تقتصر على الأسرة الصغيرة.

وكان يقوم بـ«تكريزة رمضان» الفقير مكافآت مالية وبعض المواد الغذائية والتي تعرف بسلة رمضان تقديراً منه لمعلمهم.

ففي هذا النص وفي كثير من شعر نزار المرأة شريك وفاعل، سواء كانت قوية أم ضعيفة، فهنا تعقد أسلاك الذهب، وفي مقام آخر صار عمري خمس عشرة صرت أحلى ألف مرة وفي مقام الضعف تشارك أيضاً في أشعر أنني حللي لا تتمتع هي كلمة عجلي إنني لأشعر أنني حللي وأتوجه الشريك في موضع آخر: أنا لتتفق ليلاً إليك وألا أقدم ورداً وألا أبوس يدك وتلتفت ليلاً على الرغم مني وأرسلت ورداً على الرغم مني ويستك من بين عينيك حتى شبيت وعدت بالأ.. والأ.. والأ..

وحيث اكتشفت غيائي ضحكاً نلاحظ هذه القضايا التي لم يكن الشاعر يلقى عندها، وربما رامها بعضهم من سفاف الأمور، ومن المعجب أن يقف عاجز عنها الشعراء الآخرون الذين تغنوا باليوميات الصغيرة والتصرفات العادية إلى مسائل عشقية تستحق التوقف عندها. المرض، العود، تقبيل اليد، التلقون.. لقدم لوحة عشقية بطريقة جداً بين الأمر وصد، بين ما يضره العاشق ذات لحظة من غباء، وما يتصرف به ليكتشف حقيقة المشاعر، وهذه الصورة قادرة على أن تعطي تصوراً طبيعياً للحياة وكيف يمكن أن تكون دون تزويق أو تحوير.

المراة الشريك قليلة هي الحالات التي تكون فيه المرأة شريكة وفاعلة في الحب، إذا ارتضى لها المجتمع والشاعر، وانضمت لنفسها أن تكون المنقلة ونزار بلسانها يتحدث ليحولها إلى وإهية وشريكة: شعري سرير من ذهب وكيونتها، وبعد حديث استمر قروناً

أيام معدودة تفصلنا عن شهر رمضان المبارك، وفي مثل هذا الوقت من شهر شعبان جرت العادة لدى الدمشقيين على ممارسة بعض الطقوس والعادات القديمة، حيث يقومون بتوديع ما لذ وطاب من الأطعمة والابتعاد عن اللعب واللهو بتقليد دمشقي جميل في ربوع دمشق وهواها اللطيل وذلك بما يعرف باسم «تكريزة رمضان».

«التكريزة» هي نزهة تقوم بها العائلات إلى خارج المدن، حيث يتم هذا السيران الجماعي في مناطق مظللة على مناظر الخضرة والمياه، لولع أهل الشام بالمياه والخضرة، ويتناولون مختلف أنواع الأطعمة، ويمارسون الألعاب الشعبية، حيث سيصنفون في رمضان للعبادة ولاسيما التراويج والتواقل وقراءة القرآن.

وقد لا تقتصر «التكريزة» على العائلات فقط، فقد اعتاد أصحاب المهن اليدوية والسياسيين والشيوخ وكفرسوسة والشاغور. وبغالباً ما تبدأ «التكريزة» في النهار وتنتهي بعد العصر بالعودة إلى منازلهم، وقد يجتمع في هذه النزهة الأقارب جميعهم أو تقتصر على الأسرة الصغيرة.



الدمشقيون يودعون شعبان ويتهيؤون لاستقبال رمضان بـ«التكريزة»



الحوم وغير ذلك، على حين يكون الرجال والشباب ين ورق اللعب وطاوله الزهر، وقد ينفرد البعض بالمساهمة مع النسوة في إعداد الطعام، ولا يخلو الحضور من أحد الشباب المتهربين بتقديم وصلة غناء على العود أو البرق والدربكة مع الماويل الشعبية.

واعتبر البحرة أن البعض يذهب إلى تفسير «التكريزة» على أنها فسحة وداغ لما لذ وطاب يعيش المرء بعدها بعيداً عن ملذات الحياة الدنيا في روحانية رمضان والتعبد لله..

تكريزة أم كزذورة؟

لم يعرف سبب تسمية «التكريزة» بهذا الاسم، ولكنها تبقى توديع شهر شعبان، والاستعداد لاستقبال شهر رمضان، وبهذا فقد قال بعضهم إن معنى «التكريزة» هو التوديع.

ويرجح بعض المؤرخين أن «التكريزة» كلمة سورية قديمة تعود شهر شعبان، ويعضهم حولها إلى «كزذورة»، ولكن من المعروف أن «الكزذورة» مشوار قصير المسافة، واللال فتفتقرش كل جماعة جانباً من مكان مطلق على مناظر الخضرة والمياه بجوازج قماشية تشد بين شجرتين أو أكثر بحيث لا تمنع التمتع بالنسيم اللطيل والماء المنساب بين الشجر والمناظر الأخاذة.

وأضاف: «من جهتها النسوة تنشغل في إعداد الطعام من أنواع المقاتي وشواء

برجك اليوم 3/28



نجلاء قباني

قد تعيش بعض التوتر يدفعك إلى إهمال بعض المواعيد أو نسيان بعض الالتزامات فمن منحصراً لأي طارئ وينظم أمورك من دون بعثرة لجهودك وتحقق من مواعيدك. عاطفياً: الأمور قد تحمل التعب وربما السبب تفكيرك بسفر فأنت لا تفكر بالكمال غير الموجود بل تقبل محيطك بأخلاقه وأبذل الجهود لتصل إلى ما تريد.

قد يضايقك قرار يؤثر في أمورك المالية وقد تضطر لصرف إضافي على أمور صحية الأمور حولك تستحق الكثير من الجهد والأدخال أو التقليل من الصرف العشوائي. عاطفياً: نتبع من داخل الثقة في النفس وحولك مبادرات تحتاجها وعلاقات جيدة.

انت تقع المحيط خاصة في اجتماع مع زملائك أو مع رؤسائك في العمل إذا وجدوا أنك تلاقى الترحيب لكي تتراح من العدم الكثير وانتبه على الصحة. عاطفياً: نتبع من داخل الثقة في النفس وحولك مبادرات تحتاجها وعلاقات جيدة.

انت تقع المحيط خاصة في اجتماع مع زملائك أو مع رؤسائك في العمل إذا وجدوا أنك تلاقى الترحيب لكي تتراح من العدم الكثير وانتبه على الصحة. عاطفياً: نتبع من داخل الثقة في النفس وحولك مبادرات تحتاجها وعلاقات جيدة.

أنا أنصحك بالهدوء والتريث وتأكد من صحة الكلام الذي تسمعه فقد يكون ما تسمع مبالغاً فيه ولا تجعل الآخرين يزرعون فيك الشك بأخبار مغلوبة، بل اسأل قلبك وثق بنفسك. عاطفياً: أنت تميل إلى فرض آرائك والتحكم بشريكك العاطفي وتحاول إعطاء الأمر لمن حولك فخفف من لهجتك العصبية.

ربما تفكر جيداً بوضع النقاط على الحروف في أغلب علاقاتك الشخصية مما يجعلك تعيش أفرأحاً في حياتك الاجتماعية ويدعمك المحيطون والأصدقاء فتستعيد أيام التفاهم والود وأجواء الأخرين في أمور لا يد لك فيها عاطفياً: قد تصل إلى حافة اليأس لتنتقل بكلمة أو عرض إلى قمة السعادة.

تغوص في تفاصيل عقيمة وتتفعل بسرعة فأنت مرفق الحسن لذلك يجب أن تبحث في أدق التفاصيل فأحداث تجعلك لإرادة الآخرين في أمور لا يد لك فيها فراح مكائك وكن هادئاً. عاطفياً: حسن علاقاتك بعيداً عن إهدار الوقت في معاتبات أو نقاشات أو إهمال متعدد من طرفك.

لا تهتم ببعض العوائق الصغيرة فأغلبها سببه محاولات عرقلة من أحد المحيطين الذين تتدهام بك ثقة وتشجيع ممن حولك وتعاطف واستقرار عائلي يسعدك وهذا ما يجب أن تعتمد عليه. عاطفياً: حزم اليوم وطبقة قلبك يجعلان الكثيرين من حولك يرغبون في التقرب منك.

اختر أناساً تثق فيهم بعقلك وقلبك فلعلاقاتك تتعزز للأفضل واليوم للثناء وتقدم خدمات إنسانية للمحيط حولك أو لتناقش أفكاراً جديدة بعقل وتفهم المستجدات. عاطفياً: عواطفك حارة اليوم وربما تفكر بمشروع مصلحة أو مشروع تسعد به مع من تحب.

اختر أناساً تثق فيهم بعقلك وقلبك فلعلاقاتك تتعزز للأفضل واليوم للثناء وتقدم خدمات إنسانية للمحيط حولك أو لتناقش أفكاراً جديدة بعقل وتفهم المستجدات. عاطفياً: عواطفك حارة اليوم وربما تفكر بمشروع مصلحة أو مشروع تسعد به مع من تحب.